نصرة الشعوب المسلمة – ضرورة شرعية وواجب إنساني .
دراسة وصفية تحليلية من الواقع المعاصر .

إعداد / د. صالح سنين صالح[1]

المقدمة

الحمد لله القائل: (إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ) الصافات١٧٢-١٧٣، والصلاة والسلام على رسول الله الأكرم الذي أُيد بالوحي ونُصر بالرعب على أعدائه وعلى آله وصحبه ومن والاه ونصر سنته واتبع هديه إلى يوم الدين.

وبعد

فإن الله تعالى خلق الإنسان وكرمه وجعله في أحسن تقويم، وأسجد له الملائكة المقربين، وأقام عليه الحجة بإرسال المرسلين واستخلفه في الأرض ليعمرها ويعيش عليها عابداً لله رب العالمين، آمناً مطمئناً حتى يأتيه اليقين .

قال تعالى : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿التين٤، وقال جل شأنه: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً) الإسراء:٧٠

وقال:﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴿البقرة٣٠.

من هذا المنطلق الشرعي ، ووفقاً لتلك القيم الربانية العليا فإن الإنسان أياً كان لونه أو عرقه أودينه معصوم الدم والعرض والمال- إلا بحق – وله حق الحياة الكريمة التي كفلتها له كل الشرائع السماوية والملل والنحل والأعراف الإنسانية النبيلة .

ولا يجوز انتهاك تلك الحقوق بأي حال وتحت أي ظرف ، لأنها من الحقوق الثابتة شرعاً وقانوناً وعرفاً، ولقد قررت الشريعة الإسلامية تلك الحقوق وأثبتتها ومنعت المساس بها .

وورد في الصحيح عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم أنه قال (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه إلا بحق) [٢] وقال أيضاً :(لزوال الدنيا أهون على الله من سفك دم امرئ مسلم بغير حق)[٣]

١/الأستاذ المشارك بجامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم- السودان

٢/ أخرجه مسلم في صحيحه ٨/ ١٠.

٣/ أخرجه البيهقي في سننه ، ٨/ ٢٢.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

وبناء عليه فإن ما يعانيه ويتعرض له المسلمون اليوم في كثير من دول العالم وفي أصقاع الدنيا قاطبة من تشريد وتقتيل وتدمير وحرق وإبادة لهو أمر مستنكر ومستهجن يستوجب الوقفة الصلبة والمؤازرة الجادة والدعم المستمر والنصرة القوية حتى تستطيع تلك الشعوب المسلمة المستضعفة في بورما، وأفريقيا الوسطى، وكشمير وفلسطين المحتلة والقدس الأسير وغيرها من بلدان العالم أن تعيش حرة كريمةلاتخشى ولاتهاب إلا العزيز الجبار الواهب التواب .

واستجابة لداع النصرة – وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ– الأنفال٧٢ ولأهمية هذا الموضوع زماناً ومكاناً تأتي هذه المشاركة في هذا المؤتمر ضمن المحور الأخير من محاوره وذلك لأجل تبصير الأمة وتذكيرها بدورها لتعمل بجد وإخلاص لقطع الطريق على دعاة الهيمنة والطغيان والتسلط الذين يسعون إلى المزيد من تمزيق الشعوب المسلمة سعياً وراء التهام ثرواتها ونهب خيراتها لمصلحة أجيالهم القادمة على حساب أمة الإسلام وشعوبه التي لا تستحق في نظرهم الحياة ولا العيش الكريم على سطح هذا الكوكب. وأنه لمن دواعي سروري أن أشارك في هذا المؤتمر بهذه الورقة البحثية **التي تحمل العنوان التالي :- (نصرة الشعوب المسلمة – ضرورة شرعية وواجب إنساني ، دراسة وصفية تحليلية من الواقع المعاصر)**

وذلك وفقاً للأهداف الآتية :

١- إعلاء قيم النصرة والتآزر والترابط بين أبناء الأمة الإسلامية .
٢- المساهمة في وضع وبلورة تصور منهجي علمي وعملي لمظاهر النصرة ووسائلها دعما للشعوب المستضعفة في كافة أرجاء المعمورة .
٣- التوعية بمخاطر التشرذم والتشظي والتمزق الذي تعيشه الأمة الإسلامية والذي أدى بها إلى هذا المآل البئيس الذي نحن فيه اليوم .

ووفقاً لتلك الأهداف فإن هذه الورقة ستتناول بحول الله وعونه المضامين التالية :
أولاً: تجلية وبيان مفهوم النصرة وتجلياتها ومظاهرها وأدلتها .
ثانياً : أنواع النصرة وأبرز معالمها وشروطها .
ثالثاً : الوسائل المثلى لدعم ومؤازرة الشعوب المستضعفة .

هذا بالإضافة إلى المقدمة و الخاتمة التي تضمنت التوصيات ثم ثبت المراجع والمصادر، وقد قام الباحث بتوثيق الآيات القرآنية في صلب البحث إجلالاً وتعظيما لها، أما بقية النصوص فتم توثيقها بالهامش وبالله التوفيق .

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

مفهوم النصرة وتجلياتها ومظاهرها .

(أ) مفهوم النصرة

إن نصرة المسلم لأخيه واجبة شرعاً وملزمة خلقاً ، لأن المسلمين يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم كما دلت الآثار الصحيحة ، وأن المسلم أخو المسلم لا يخذله ولا يسلمه، وفي الصفحات التالية نستعرض مفهوم النصرة ومظاهرها وأنواعها أهلها ومعالمها فنقول: – معنى النُّصْرَة في اللُّغة:

النُّصرة: النَّصْر والعون، وهي اسم من نَصَرَه على عَدوِّه يَنْصُره نَصْرًا، أي: أعانَه وقَوَّاه، والنَّصيرُ والنَّاصِر واحد .[1]

معنى النصرة اصطلاحاً :

يتردد مصطلح النصرة ومشتقاته في القرآن والحديث لتعني ما يلي:

- النصرة بمعنى اتباع دين الله، والجهاد في سبيله، وطاعة أوامره، واجتناب معاصيه؛ مثل قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) محمد:٧.
- النصرة بمعنى التأييد و المساعدة على التفوق والغلبة؛ مثل قوله تعالى: (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ) (آل عمران:١٢٣)، (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا) التوبة:٢٥.
- النصرة بمعنى المؤازرة؛ مثل قوله تعالى: (فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (الأعراف:١٥٧). وفي الحديث: "النساء ينصر بعضهنَّ بعضًا. من نصر قومه على غير حق فهو كالبعير.[2]
- النصرة بمعنى الحماية؛ مثل قوله تعالى: (وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ) (هود:٣٠)، (إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) التوبة:٤٠.
- النصرة بمعنى مساندة الحق وإشاعة العدل؛ مثل قوله تعالى: (مَا لَكُمْ لا تَنَاصَرُونَ) الصافات:٢٥.
- النصرة بمعنى الثأر ودفع العدوان؛ مثل قوله تعالى: (وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ) (الشورى:٣٩)..

١/ انظر : لسان العرب – ٥/ ٢١٠–وكذا تهذيب اللغة للأزهري ٤/ ١٩٧

٢/ انظر : سنن أبي داود كتاب الأدب ص ١١٢

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

- النصرة بمعنى منع الظلم ودفعه إذا وقع؛ مثل قوله صلى الله عليه وسلم: «من أُذل عنده مؤمن، فلم ينصره وهو يقدر على نصره، أذله الله على رؤوس الأشهاد يوم القيامة يقول الله عز وجل: وعزتي وجلالي لأنتقمنَّ من الظالم في عاجله وآجله، ولأنتقمنَّ ممن رأى مظلومًا فقدر على أن ينصره فلم ينصره. [1]

(ب) تجليات النصرة في الجيل الإسلامي الأول.

أما عن المناسبات والوقائع العملية التي اقترنت بالتوجيهات القرآنية والنبوية التي عالجت موضوع النصرة، وأدرجته في العناصر المكونة للأمة الإسلامية فيمكن تلخيصها في ثلاث نقاط رئيسة

أولاً :- ذلك الالتزام الكامل الذي قام به الأنصار قولاً وعملاً لنصرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، ونصرة المهاجرين معه،ومن أجل ذلك أطلق عليهم اسم «الأنصار».

ثانيًا:- تلك التضحية الكاملة التي قدمها المهاجرون حين حرروا واقتلعوا أنفسهم من المجتمع الجاهلي وعقيدته الوثنية وثقافته اقتلاعًا كاملاً، ثم أوقفوا هذه الأنفس لنصرة دين الله عزوجل

ثالثًا:- إقامة الفريقين مجتمعين – المهاجرين والأنصار - لمعاني الإسلام في واقع حياتهم، في المجتمع النبوي المؤيد بالوحي ثم الراشدي المستعصم به، ومن ثم الخروج إلى العالم كله لإقامة هذه المعاني في حياة الآخرين.كما قال الصحابي الجليل ربعي ابن عامر حينما قدم إلى هرقل ملك الروم ، فسأله ما الذي جاء بكم؟ فقال مجيباً (أتينا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها)[2] فلخص لنا هذا الصحابي رسالة المؤمن في هذه الحياة.

(ج) أبرز مظاهر النصرة

يتحقق مفهوم النصرة وتتجسد قيمها في حياة الأمة المسلمة من خلال مظاهر عديدة يمكن تلخيصها في الآتي :

١- نصرة العقيدة الإسلامية ودعاتها في مواجهة طغيان العقائد الفاسدة والأفكار الهدامة . ويمكن تفصيل ذلك عبر النقاط التالية :

يتكون كل مجتمع من ثلاثة عناصر رئيسة هي:

١- الإنسان المستخلف ، ٢- العقيدة والفكر ٣-بقية مكونات الحياة ومعيناتها .

١/ انظر : كنز العمال للمتقي الهندي نقلاً عن الطبراني في المعجم الكبير ٣/ ٥٠٥

٢/ انظر : الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٢/ ٤٣٤- والطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٥٥٧

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

وتكون الأمة في أعلى درجات المعافاة والصحة حين تكون نصرة العقيدة والفكر هي المحور الذي يدور في فلكه (الإنسان المستخلف وبقية المكونات) ففي هذه الحالة يخلف «أشخاص» المؤمنين الرسول صلى الله عليه وسلم في نصرة العقيدة وأفكار الرسالة،فتظهر العدالة ويكون الاستخلاف وتتحدد مواقع الأفراد ووظائفهم طبقًا لمقياسين.

١- مدى القدرة على حمل الرسالة، أي فقهها وتطبيقها.

٢- مدى الإخلاص في هذا الحمل.

والقرآن الكريم يطلق على كلٍّ من القدرة والإخلاص اصطلاحي: القوة والأمانة. وذلك عند قوله تعالى: (إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ) القصص:٢٦). وفي آية أخرى يسميها: التمكين والأمانة، وذلك عند قوله تعالى: (إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ) يوسف:٥٤. والقوة هنا تعني «الجدارة» وهي شاملة ذات مظاهر عديدة؛ ففي في ميدان الحكم تدور حول الحكم بالعدل، كما دل عليه القرآن والسنة، وحول القدرة على تنفيذ الأحكام. والقوة في ميدان العسكرية تدور حول شجاعة القلب، والخبرة العسكرية.. وهكذا في بقية ميادين الحياة، كالتربية والإدارة، والاقتصاد، والصناعة، وغيرها.

أما الأمانة فتدور حول الولاء الذي من أجله تبذل القدرة: أهو لأفكار الرسالة والعقيدة أم للأشخاص، أم للأشياء العارضة ؟! ويتسرب الخلل إلى عنصر «النصرة» حين تطغى نصرة «الأشخاص» على نصرة «الأفكار». والتطبيقات العملية لهذا الطغيان تتمثل في امتلاك أصحاب العصبيات الأسرية، أو القبلية، أو الطائفية، أو العرقية، أو الإقليمية، للأفكار والأشياء. ثم توظيفهما معًا لدعم مكانة أشخاص العصبيات ونفوذهم. وتتحدد مراكز الأفراد ووظائفهم طبقًا لمدى استعمالهم لصفتي القوة والأمانة في خدمة هذه العصبيات. وهذا ما حذر أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – منه يزيد بن أبي سفيان – رضي الله عنهما – كما روى ذلك يزيد نفسه فقال: «قال أبو بكر لما بعثني إلى الشام: يا يزيد إن لك قرابة عسى أن تؤثرهم بالإمارة، وذلك أكبر ما أخاف عليك. فإن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: من ولي من أمور المسلمين شيئًا فأمَّر عليهم أحدًا، محاباة له بغير حق، فعليه لعنة الله، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً حتى يدخله جهنم، ومن أعطى أحدًا من مال محاباة فعليه لعنة الله. أو قال: برئت منه ذمة الله. إن الله دعا الناس أن يؤمنوا فيكونوا حمى الله. فمن انتهك في حمى الله شيئًا بغير حق فعليه لعنة الله. أو قال: برئت منه ذمة الله عز وجل. [1] ومن هذا الهدي النبوي الراشدي، استوحى ابن تيمية آراءه

١/ انظر : كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، ٥/ ٦٦٥

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

في هذا الشأن فقال: «فإن عدل عن الأحق الأصلح إلى غيره لأجل قرابة بينهما، أو ولاء عتاقة، أو صداقة، أو مرافقة في بلد، أو مذهب، أو طريقة، أو جنس كالعربية والفارسية والتركية والرومية، أو لرشوة يأخذها منه من مال أو منفعة، أو غير ذلك من الأسباب، فيما نهى الله عنه في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (الأنفال:٢٧) ثم قال: (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) (الأنفال:٢٨). فإن الرجل لحبه لولده أو لعتيقه قد يؤثره في بعض الولايات، أو يعطيه مالاً لا يستحقه، أو محاباة من يداهنه في بعض الولايات، فيكون قد خان الله ورسوله وخان أمانته. ولما كانت السلطة وما تجسده من مال وزخارف الحياة المادية، هي الوسيلة الرئيسة التي يستعملها «أشخاص» العصبيات للحصول على النصرة، فإنه سرعان ما تصبح نصرة «الأشياء» هي المحور الذي تدور في فلكه «الأفكار والأشخاص»، وتصبح الهيمنة في الأمة لأرباب المال، والتجارات، وصانعي الشهوات، وتسود ثقافة الاستهلاك والترف، وتتمزق شبكة العلاقات الاجتماعية، وتصبح الأفكار والقيم بعض سلع التجارة، ومواداً للاستهلاك والدعايات السياسية والاقتصادية، ويتوقف التفكير العدلي والموضوعي، ويحل محله الهوى والظلم ويتفشى الفساد ، وتتحدد ميادين التربية بحدود هذه الثقافة الاستهلاكية الفاسدة ، وينشغل الناس بأشيائهم وحاجاتهم اليومية، ويعودون كالجاهلية همّة أحدهم لا تتعدى بطنه وفرجه، لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا، وتكون المحصلة النهائية لهذا التحول هو السعي لامتلاك مكونات الحياة الفانية فتنمو ظاهرة الملك القسري، والعنف الدموي والفتن. ويؤكد ذلك ويلخصه قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن هذا الأمر بدأ رحمة ونبوة، ثم يكون رحمة وخلافة، ثم كائن ملكًا عضوضًا، ثم كائن عتوًا وجبرية وفسادًا في الأرض، يستحلون الحرير والفروج، ويرزقون على ذلك وينصرون.[١] والمجتمعات التي تدور في فلك العقيدة السليمة والأفكار الصحيحة، تتفوق على تلك التي تدور في فلك العقائد الفاسدة والأفكار الخاطئة، كما كانت حال الأمة المسلمة في صدر الإسلام، وتفوقها على مجتمعات الرومان وفارس وغيرهما.. ولكن المجتمعات التي تدور في فلك الأفكار الخاطئة، أو التي يختلط فيها الصالح والطالح والخبيث والطيب ، فتلك المجتمعات تتفوق على المجتمعات التي تدور في فلك الأشخاص ومكونات الحياة المادية ، بل وتهزمها كما هو الحال الآن في تفوق المجتمعات الغربية على مجتمعات العالم الثالث، ومنها العالم العربي والإسلامي.

١/ المصدر السابق ٦/ ١٢٠

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

٢- نصرة العدل في مجابهة الطغيان والتسلط:

ويمثل هذا المظهر محور عنصر النصرة، بل هو جوهره وغايته؛ لأن العدل في حقيقته تجسيد لأفكار الرسالة ومُثُلها وقيمها، وبقائها المحور الذي يدور في فلكه الأشخاص والأشياء. أما الظلم فحقيقته أن تندحر الأفكار والمثل والقيم، من محور الاجتماع البشري إلى هوامشه، لتدور في فلك أهواء الأشخاص الأقوياء، الذي يهيمنون على محور الاجتماع البشري، ويديرون الأفكار والأشياء في فلكهم، لبقاء سلطانهم ودوام تملكهم. فالعدل إذن هو روح شبكة العلاقات الاجتماعية الذي يمنحها الحياة والبقاء، وغياب العدل يلغي مبرر وجود الأمم (ومنها الأمة الإسلامية) ولذلك قال أحد السلف: الملك مع العدل والكفر يدوم، ولكن الملك مع الإسلام والظلم لا يدوم. وجيوش الفتح الإسلامي حين خرجت إلى العالم، إنما خرجت لرفع الظلم عن الشعوب، أما اعتناق الإسلام، فقد تركته لاختيار الشعوب المحررة، لتتبين وحدها الرشد من الغي، دون إكراه في الدين، ولتختار واحدًا من اثنين: إما الإسلام، وإما الجزية التي تسوي غير المسلم بالمسلم، الذي يدفع الزكاة ويخدم في الجيش لحماية الجميع من الظلم. لذلك تضافرت مصادر التشريع الإسلامي على إدانة الظلم، وتنفير المسلم منه في جميع مظاهره وأشكاله. فالقرآن يسوي بين مصير المظلومين الذين يسكتون على الظلم، وبين الظالمين الذين يمارسون الظلم: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً) (النساء:٩٧). وفي المقابل يشيد القرآن بالذين يرفضون الظلم، ويتناصرون لمقاومته، ويستنهض هممهم لمنازلته: (وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ × وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ × وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ × إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (الشورى:٣٩-٤٢). والرسول صلى الله عليه وسلم يجعل خنوع الأمة، وعدم تناصرها لمقاومة الظلم من العلامات الدالة على موتها، وانتهاء مبررات وجودها: «إذا رأيت أمتي لا يقولون للظالم منهم أنت ظالم، فقد تُودِعَ منها.[1]

وكان من ثمار هذه التربية في عصر النبوة أن قامت روابط النصرة في مجتمع الراشدين على تعشق العدل والتضحية في سبيله، وصارت طاعة الحاكم مرهونة بمدى تقيده بالعدل

١/ انظر: المسند الجامع، ٢٦/٢٧

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

واحترام الحريات. كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في مجلسٍ وحوله المهاجرون والأنصار، فقال: «أرأيتم لو ترخصت في بعض الأمور ما كنتم فاعلين؟ فسكتوا، فقال ذلك مرتين أو ثلاثًا. فقال بشر بن سعد: لو فعلت ذلك قومناك تقويم القداح -أي السهم- فقال عمر: أنتم إذاً، أنتم إذًا.[1] أي أنتم إذن الرجال الممثلون للأمة المسلمة الحقة.

ولم يكن هذا موقفًا نادرًا أو موقوتًا في سياسة عمر - رضي الله عنه - ، بل إن جميع مواقف عمر كانت من جنس هذا الموقف؛ لأن عمر لم يكن حاكمًا فقط، وإنما كان مربيًّا يرسي تقاليد ثقافة جديدة في السياسة الشرعية والعدالة الاجتماعية والاقتصادية ، ويريد لهذه الثقافة أن تتجذر في تاريخ الأمة، وفي أعرافها، وقيمها، ونظمها، وتقاليدها، وأن يصبح العدل والحرية محور هذه الثقافة. وحقًّا إنه كان في ذلك عبقريًّا وملهماً فذاً.

٣- نصرة الحرية في مجابهة الاستعباد:

وهذا المظهر من مظاهر النصرة، يمثل محور عقيدة التوحيد، ويجسدها في واقع اجتماعي، يصهر الفروق بين الأفراد والجماعات، ويقضي على الفروق الطبقية التي يمكن أن تتحول إلى آفة اجتماعية في الوسط المسلم . ولذلك كان غياب الحرية في حقيقته هو غياب التوحيد؛ لأن حقيقة التوحيد أن لا يخشى الإنسان الموحد إلا الله، وغياب الحرية معناه خشية غير الله. ولقد فسر الطبري قوله تعالى: (يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً) (النور:٥٥) أن معنى (لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً) هو: أنهم لا يخافون غيري من جبابرة السلاطين والأشخاص.

وهذا يضع على التربية الإسلامية مسؤولية كبيرة في تنمية قيمة الحرية ونصرتها، والغيرة عليها، والدفاع عنها إذا انتهكت، كالغيرة على الأعراض والحرمات. ويتفرع عن ذلك تنمية الوعي بقيمة التعبير عن الرأي؛ لأن الأمة التي يوجهها عنصر النصرة أمة تدرك قيمة النقد الذاتي - أو التوبة حسب التعبير الإسلامي - وأثرة في دوام صحتها وعافيتها، فلا تتراكم آثار الممارسات الخاطئة، حتى تنفجر في فتن مدمرة، تأتي على كيان الأمة دفعة واحدة. ولابد للتربية الإسلامية أن تدرب متعلميها على ممارسة كلاًّ من حرية الرأي والنقد الذاتي، بحيث تنطبق عليها المواصفات التي توجه إليها أمثال قوله تعالى: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً) (البقرة:٨٣)، (وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (النحل:١٢٥)، (وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً) (النساء:٦٣). وبذلك لا يتحول النقد أو التعبير إلى سباب ومهاترات، تزرع

١/ انظر: الجامع لابن عساكر - ٦٨٧/٥

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

الأحقاد وتبذر الفتن، وإنما يقوم على تشخيص الظواهر الاجتماعية، وتحليل مقدماتها ونتائجها بغية التعرف على الممارسات الخاطئة للتوبة منها، واكتشاف الصحيحة للرجوع إليها. ونحن نلمح في طريقة نزول الوحي، ما يشجع على ظاهرة التعبير عن الرأي الرفيع، التساؤل البناء، فحينما تساءلت نسيبة بنت كعب – المشهورة بأم عمارة، وصاحبة المواقف البطولية في أُحدٍ وحروب الردة – فقالت: يا نبي الله، مالي أسمع الرجال يذكرون في القرآن والنساء لا يذكرن؟ فأنزل الله تعالى: (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً) (الأحزاب:٣٥). ومع اعتقادنا الراسخ بكمال العلم الإلهي، إلا أننا نرى في مناسبة الآية واستجابة الوحي لطلب نسيبة وأخواتها، بعض مظاهر الحكمة الإلهية، التي شكلت الأحداث، لتعلم جيل الصحابة والأمة المسلمة درسًا في التعبير عن الرأي، وأهميته، ولو كان الذي يعبر عن رأيه امرأة، ولو كان الموضوع الذي يدور حوله التساؤل هو أسلوب الوحي!! فإذا كان الأمر كذلك فليس هناك من بني البشر من هو فوق التساؤل والنقد الإيجابيين!! وعلى هذا النهج سارت الحياة في المجتمع النبوي والعهد الراشدي؛ فحين تولى عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – الخلافة مثلاً، كتب إليه أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل – رضي الله عنهم – من الشام رسالة مشتركة يذكرانه بالمسؤولية التي عهدت إليه، ويحذرانه مغبة القصور عنها. ومما جاء فيها: (أصبحت وقد وليت أمر هذه الأمة، أحمرها وأسودها، يجلس بين يديك الشريف والوضيع، والعدو والصديق، ولكلٍّ حصته من العدل؛ فأنت كيف أنت عند ذلك يا عمر، فإنَّا نحذرك يومًا تعي فيه الوجوه، وتجف فيه القلوب، وتقطع فيه الحجج بملكٍ قهرهم بجبروته، والخلق داخرون له، يرجون رحمته ويخافون عقابه). وتلقى عمر الكتاب فلم تأخذه عزة السلطان، وإنما شكر لهما النصيحة والتواصي، وكتب يطمئنهما إلى ما أوصيا به، ثم أضاف: (كتبتما به نصيحة تعظاني بالله أن أنزل كتابكما سوى المنزل الذي نزل من قلوبكما، فإنكما تكتبان به وقد صدقتما، فلا تدعا الكتاب لي، فإني لا غنىً بي عنكما، والسلام عليكما.[1] وكما أسلفنا، فإن أمثال عمر لم يتعدوا أصابع اليد في تاريخ الإسلام، لذلك فإن من ضمانات مبادئ الحرية والعدل التي أراد عمر إرساءها واستمرار نصرتها، أن لا تترك هذه المبادئ

1/ انظر : موسوعة أطراف الحديث ، ٥٠٠٢/١

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

إلى ورع الحاكم وأخلاقه، بل تُحرس بالتشريع وبالمؤسسات، وأن لا تكون هناك سلطة فردية مطلقة، وفردية التصرف معناها: العصمة من الخطأ. والعصمة معناها: عدم النقد، بل تحريمه وتجريمه. وعدم النقد معناه: تشجيع الحاكم على الطغيان. وبقاء الطغيان والظلم مدى الحياة معناه: أن لا تجد الأمة سبيلاً للتخلص من الطاغية إلا بالانقلابات، والثورات الدموية، والفتن المدمرة، التي تنتهي إلى مرض الأمة وموتها. ولتجنب هذه السلسلة من السلبيات والمضاعفات المهلكة، لابد للتربية الإسلامية من التشريعات وبناء المؤسسات، وتقنين القيم السياسية، وأن ترفع انتخاب الحاكم وتقنين القيم السياسية وجماعية القيادة إلى مرتبة فروض الدين؛ لأن هذا ما توجه إليه روح الشورى، التي يوجه إليها القرآن الكريم وتطبيقات السنة، وهذا ما فهمه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حين قال: «لا خلافة إلا عن مشورة.

٤ - نصرة المؤسسات والشورى في مواجهة التسلط والاستفراد (الفرعونية).

وحتى تتجسد أفكار النصرة في واقع اجتماعي يعيشه الناس،لابد أن تُعلى قيم الشورى والمؤسسية و أن يرتكز عمل مؤسسات الدولة على الحفاظ على إنسانية الإنسان وصيانة حرماته، و تمكينه من تحقيق رسالته ولتحقيق هذه الغاية، يؤكد القرآن الكريم بصراحة وقوة على عدم النيل من إنسانية الإنسان أو التجسس عليه، أو اضطهاده، أو نفيه، أو غيبته، أو امتهان كرامته، وتهديد من يرتكب مثل هذه الجرائم بأشد أنواع العذاب في الدنيا والآخرة. والرسول صلى الله عليه وسلم يؤكد ذلك بنفس الحجم والكم تقريبًا، فهو يجعل التجسس على الناس سببًا في إفسادهم: «إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم وعن معاوية - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال له: «إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم؛ أو كدت تفسدهم». فقال أبو الدرداء - رضي الله عنه - : «كلمة سمعها معاوية من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نفعه الله بها. [١] والعقوبة يجب ألاَّ يكون باعثها الحقد الشخصي، ولا القسوة على الإنسان في حالة مخالفاته، وإنزال القصاص به، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها: قال صلى الله عليه وسلم: «لا يجلد أحد فوق عشرة أسواط إلا في حد من حدود الله. [٢] والسجن الإسلامي يختلف عن السجن غير الإسلامي، بحيث يتطابق مع احترام الإسلام لإنسانية الإنسان، ويحافظ على كرامته، وفي ذلك يقول ابن تيمية: «الحبس الشرعي ليس السجن في مكان ضيق، وإنما هو تعويق الشخص،ومنعه من

١/ انظر : إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي – ٣/ ١٠٩

٢/ انظر : البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار – ٨/ ٧٨٢

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

التصرف بنفسه، سواء كان في بيت أو مسجد، أو بتوكيل نفس الخصم، أو وكيل الخصم عليه، ولذلك سماه الرسول صلى الله عليه وسلم أسيرًا. ولقد برزت آثار التوجيهات التي عمقتها التربية النبوية في جيل الصحابة والراشدين، فاتخذوها دستورًا في مؤسسات الإدارة والشرطة والجيش، الموكلة بالحفاظ على النصرة في الداخل والخارج. فقد كان عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – إذا بعث عماله شرط عليهم أن يعيشوا معيشة الناس، وأن يركبوا ما يركبه عامة الناس، وأن يلبسوا ما يلبسه عامة الناس، ثم يشيعهم، فإذا أراد أن يرجع قال: « إني لم أسلطكم على دماء المسلمين، ولا على أعراضهم، ولا على أموالهم، ولكني بعثتكم لتقيموا الصلاة، وتقسموا فيهم فيئهم، وتحكموا بينهم بالعدل، فإذا أشكل عليكم شيء فارفعوه إليَّ، ألا فلا تضربوا العرب فتذلوها، ولا تجمروها فتفتنوها، ولا تعتلوا عليها فتحرموها، جردوا القرآن.[1] ولقد خطب عمر – رضي الله عنه – يومًا في الناس فقال: « ألا وإني والله ما أرسل عمالي إليكم ليضربوا أبشاركم، ولا ليأخذوا أموالكم، ولكني أرسلهم ليعلموكم دينكم وسنتكم، فمن فعل به شيء سوى ذلك فليرفعه إليَّ، والذي نفسي بيده، إذًا لأقصنّه منه! فوثب عمرو بن العاص –رضي الله تعالى عنه– فقال: أمير المؤمنين، أو رأيت إن كان رجل من المسلمين على رعية، فأدب بعض رعيته، أئنك لمقتصه منه؟ قال: أي والذي نفس عمر بيده إذًا لأقصنّه منه، وقد رأيت رسول الله –صلَّى الله عليه وسلَّم– يقص من نفسه، ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم، ولا تجمروهم فتفتنوهم، ولا تمنعوا حقوقهم فتكفروهم، ولا تنزلوا الغياض فتضيعوهم.[2] واعتماد هذه المبادئ الإسلامية في تشكيل عمل مؤسسات النصرة التي مرّ ذكرها يتطلب أمور ثلاثة:

الأول: أن تنفرد التربية الإسلامية في إعداد العاملين في هذه المؤسسات، وعدم تركهم للإعداد في المؤسسات الإدارية والبوليسية والعسكرية القائمة في ديار الغرب، لتكون محصلة إعدادهم في تلك المؤسسات رهقًا وإرهابًا لأممهم ومجتمعاتهم في الداخل، وعجزًا مذلاً أمام العدوان النازل بها من الخارج. والثاني: أن تختلف الإجراءات التي تمارسها هذه المؤسسات، والعقوبات التي تطبقها لإمضاء قوانين النصرة، وتشريعاتها، عن نظائرها من المؤسسات غير المسلمة، إذ لا يجوز أبدًا تقليد المؤسسات الأخرى، واستيراد أساليبها، أو التدرب في معاهدها على نظم البوليس وأساليب المخابرات، وإجراءات التحقيق والعقوبات؛ لأن المؤسسات غير الإسلامية تتعامل مع الإنسان انطلاقًا

١/ انظر : كنز العمال – ٢٦/ ١٦٤

٢/ انظر : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد – طبعة محققة ٥/ ٢٥٤

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

من فلسفة «الدراونية الاجتماعية»، التي تقرر أن البقاء للأقوى، واستنادًا إلى نظريات علم النفس المشتقة من التجارب على الحيوان، كنظرية «بافلوف» ونظرية التعلم الإشراطي لـ«سكنر»، التي تستعملها الكثير من دوائر الشرطة والمخابرات في غسل الأدمغة وانتزاع الاعترافات. والثالث: أن يتم تأسيس التربية العسكرية على الأصول الإسلامية التي تعد العسكري المسلم ليدور حول أفكار الرسالة، لا في فلك الأشخاص الحاكمين وأصحاب الجاه المترفين. وأهمية هذه التربية لا يمكن هنا الخوض في تفاصيلها، وإنما يمكن تصورها من المثل الذي لم يحدث له نظير في تاريخ الجندية، حنيما أنزلت رتبة عسكري كخالد بن الوليد – رضي الله عنه – من قائد عام للجيش، إلى جندي نفر، ثم استمر في أداء واجبه قائلاً: «أنا لا أقاتل من أجل عمر!!». ويرتبط بهذا المظهر للنصرة تنمية الوعي بسيادة الشريعة فوق القوة، وإقامة المؤسسات المتخصصة بمراقبة الحاكمين والإداريين، بحيث لا يكون أحد – كائنًا من كان – فوق الشريعة أو القانون، بهما يُضبط سلوكهم، وتوجه إدارتهم. وحين يحاول أحد أن يرتفع فوق القانون يُقوّم تقويم القداح – حسب قول بشر بن سعد للخليفة عمر –، وإذا لم يُقوّم فإن ذلك يعني أن الصنمية عادت برموز جديدة، والرضى بها من مظاهر الشرك والخضوع لغير الله. وتحتاج التربية الإسلامية – من أجل تعميق مفهوم النصرة – إلى نقد الممارسات التاريخية التي أطلقت أيدي بعض الخلفاء والسلاطين والولاة – بعد عصر الراشدين – في شؤون الحكم والمال والإدارة، فصاروا يعزون من يشاءون في أعلى الناصب، ويذلون من يشاءون بالعزل والاضطهاد، ويحيون من يشاءون بالعفو المزاجي، ويميتون من يشاءون بالإرادات الطاغية، وبذلك شاركوا الله في صفاته وأفعاله، وجسدوا صنمية الأنداد! وتحتاج التربية الإسلامية كذلك إلى نقد قيم العصبيات وثقافاتها، التي تصطدم بالنصرة، فتجعل القوة فوق القانون، وتحيل حقوق الناس الممنوحة لهم من الله مكرمات، يمنّ بها عليهم أصحاب السلطان الأنداد، وتطلق أيد المنفذين ليستعبدوا الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا، وليتحكموا بمصائرهم وأرزاقهم ومقدراتهم، دون رقابة من مؤسسة، أو مسؤولية أمام تشريع. ولا شك أن نقد التربية لهذه الثقافة العصبية المتخلفة، هو واجب ديني، والتخلي عن هذا الواجب أو القصور فيه والسماح لهذه الثقافة أن تشيع في مناهج التربية وبرامج الإعلام، هو كبيرة من الكبائر المخلدة في النار، كما ذكر ذلك صراحة في حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الذي أورد الكبائر السبع، وذكر أن سابعتها: «وأن يرتد أعرابيًّا بعد الهجرة.[1]».

1/ انظر: البدر المنير - مصدر سابق ٦/ ٤٦٥

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

٥- نصرة الأمة المسلمة في مواجهة طغيان الفرد أو الأقلية:

وأساس هذا المظهر أن الأمة التي توجهها روح النصرة، لا تسمح للفرد أو الأقلية أن تغلّب مصالحها الخاصة على الصالح العام، ولتحقيق هذا المظهر لابد للتربية الإسلامية أن تركز على رسوخ ثلاثة اتجاهات رئيسة هي:

الأول: تنمية الوعي بقيمة وحدة الأمة المسلمة والمحافظة عليها بكل الوسائل، ويتفرع عن وحدة الأمة: وحدة القيادة، ومحاربة نزاعات السلطة المستمدة من الولاء الفردي، والعصبيات العائلية، والقبلية، والإقليمية، والمذهبية، والقومية، وكل ما يعرض كيان الأمة للفتن والانقسامات. وهذا ما فهمه أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – حين قال: « وإنه لا يحل أن يكون للمسلمين أميران، فإنه مهما يكن ذلك يختلف أمرهم وأحكامهم، وتتفرق كلمتهم وجماعتهم، ويتنازعون فيما بينهم، هنالك تترك السنة وتظهر البدعة، وتعظم الفتنة، وليس لأحد على ذلك صلاح.[١]

وحين اقترح أحد الأنصار في سقيفة بني ساعدة أن يكون للمسلمين خليفتان في آن واحد، وقال للمهاجرين: منا رجلٍ ومنكم رجل. أجابه عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – : «سيفان في غمد واحد إذًا لا يصلحان.[٢]

والثاني: تنمية الوعي بأهمية العمل الجماعي، وسيادة مبدأ الشورى؛ لأن في الشورى تجسيدًا لإرادة الأمة، وإشراكًا لجميع أفرادها وهيئاتها في حمل المسؤولية. وهو ما طبقه الرسول صلى الله عليه وسلم وسار عليه الخلفاء الراشدون، فقد كان أبو بكر وعمر – رضي الله عنهما – إذا ما ورد على أحدهما أمر، نظر في الكتاب والسنة، ثم شاور العلماء وأولي الرأي.
والثالث: تكافؤ الفرص، وعدم محاباة الأقارب والأصدقاء، وتوزيع الوظائف والأعمال طبقًا لمقاييس الإخلاص والكفاءة، وهذا ما وجه إليه أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – ؛ فعن يزيد بن أبي سفيان – رضي الله عنه – قال أبو بكر: لما بعثني إلى الشام؛ قال: يا يزيد إن لك قرابة عسى أن تؤثرهم بالإمارة، وذلك أكبر ما أخاف عليك، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من ولي من أمور المسلمين شيئًا فأمَّر عليهم أحدًا محاباة له بغير حقٍّ، فعليه لعنة الله، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً حتى يدخله جهنم، ومن أعطى أحدًا من مال أخيه محاباة له فعليه لعنة الله – أو قال برئت منه ذمة الله –

١/ انظر : موسوعة الحديث – باب خلافة الخلفاء – ٥٩٦/٥

٢/ انظر: المسند الجامع – ١٩٢/٣٢

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

إن الله دعا الناس أن يؤمنوا فيكونوا حمى الله، فمن انتهك في حمى الله شيئًا بغير حقٍّ فعليه لعنة الله – أو قال: برئت منه ذمة الله عزوجل[1]

٦- نصرة رجال الفكر وجمهور الأمة في مواجهة رجال القوة والتسلط:

يرتبط هذا المظهر بنصرة أفكار الرسالة ارتباطًا وثيقًا، وهو من أهم ميزات الأصول السياسية للتربية الإسلامية، فالقرآن الكريم يحدد دور رجال الفكر ورجال القوة في أكثر من موضع، من ذلك :

قوله تعالى: (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ) (النساء:٥٩).

ولقد قدم الرازي وابن تيمية عرضًا مطولاً لتفاسير علماء الصحابة وتلامذتهم لمعنى (وَأُولِي الأَمْرِ) وخلصا إلى أن هذه التفاسير تنقسم إلى قسمين: قسم جعل «أولي الأمر» هم: العلماء والأمراء، وهو رأي الأقلية. وقسم جعلهم العلماء وحدهم، وهو رأي الأكثرية. . وعلى كل حال، فالعلماء أو رجال الفكر، موجودون في تعريف كلا الطرفين،ولهم الصدارة والأولوية، وهذا هو الذي ينسجم مع نصرة الرسالة، وضرورة دوران الأشخاص والأشياء في فلك الأفكار كما مر.

كذلك يقدم القرآن الكريم أمثلة لما يجب أن تكون عليه مكانة رجال الفكر وجمهور الأمة، ولقد ناقش ابن تيمية هذه المكانة، وذكر أنها مما يوجه إليه قوله تعالى: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا) (المائدة:٥٥)، (وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ) (المائدة:٥٦). (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) (المنافقون:٨). وفي التشهد: «التحيات لله، والصلوت والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين».

فالإشارة هنا لله ورسوله، إشارة إلى القائمين على فقه الكتاب والسنة والتربية عليهما، والإشارة إلى الذين آمنوا إشارة إلى جمهور الأمة المسلمة. ويضيف ابن تيمية: أن هذه الأصول هي التي أمر بها عمر بن الخطاب شريح – رضي الله عنهما – حيث قال: «اقضِ بما في كتاب الله، فإن لم يكن فبما في سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، فإن لم يكن فبما اجتمع عليه الناس» وفي رواية: «فبما قضى به الصالحون».

وكذلك يقول ابن مسعود – رضي الله عنه – : «من سئل عن شيء فليفتِ بما في كتاب الله،

١/ سبق تخريجه ، انظر صفحة : ٧

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

فإن لم يكن فبما في سنة رسول الله، فإن لم يكن فبما اجتمع عليه الناس».[1] وكذلك روى نحوه ابن عباس – رضي الله عنهما – وغيره، ولذلك قال العلماء: الكتاب والسنة والإجماع. كذلك يقدم القرآن الكريم أمثلة لما يجب أن تكون عليه معادلة العلاقة بين رجال الفكر وجماهير الأمة ورجال القوة، وتحديد أدوار كل فريق منهم. من ذلك قوله تعالى: (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) (النساء:٨٣).

هكذا تتوزع الأدوار إذا واجهت الأمة قضية من قضايا الأمن أو الخوف، أو شأنًا من شؤون الحرب أو السلم؛ فالحس الجماهيري هو الأداة القادرة على استشعار القضايا، أو المشكلات؛ لأن الجماهير هي التي تتفاعل على مسرح الحياة الاجتماعية، ولها حق التعبير والإعلان عنها، ولكن ليس باللغو وإذاعة الإشاعات، وإنما بأداء دورها في دائرة فاعلة، دائمة الجريان، حيث تبدأ الجماهير برد القضايا والمشكلات إلى أولي الأمر من العلماء الأمراء ليردوها بدورهم إلى المتخصصين القادرين على علمها واستنباط وسائل معالجتها.

(د) وجوب النصرة وأدلتها من القرآن والسنة .

بعد أن استعرضنا في الصفحات السابقة أهم مظاهر النصرة ندعم ذلك بالأدلة الشرعية تأكيداً للمبدأ وإقامة للحجة فنقول :-

١- الأدلة من القرآن الكريم:

هناك آيات كثيرة في كتاب الله تعالى تدل على وجوب نصرة المظلوم، ومنها قوله تعالى ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (الأنفال: ٧٢)، وقوله تعالى ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا من لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا من لَّدُنكَ نَصِيراً﴾ (النساء: ٧٥)، وقوله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة: ٢).

٢- الأدلة من السنة المطهرة :

وأيضا وردت أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم تدل على وجوب نصرة المظلوم والوقوف معه لدفع الظلم عنه واسترداد حقوقه ومواساته .

فعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (انصر أخاك ظالما أو

١/ انظر : البدر المنير ٩/ ٥٣٤

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

مظلوما) قالوا يا رسول الله هذا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما؟ قال (تأخذ فوق يديه)[1]، وقوله صلى الله عليه وسلم (انصر أخاك) أمر والأمر المطلق يقتضي الوجوب ، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (المسلم أخو المسلم لايظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة مسلم كان الله في خاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة)[2] ، قال ابن حجر رحمه الله تعالى (قوله (لا يسلمه) أي لا يتركه مع من يؤذيه بل ينصره ويدفع عنه، وهذا أخص من ترك الظلم)[3] ، فالنصرة إذن حق أساسي من حقوق الأخوة ومقتضياتها العملية استنادا على تلك النصوص الشرعية القطعية .

(ه) من هم أهل النصرة؟.

١ – كل مسلم مظلوم في دينه أو في دنياه، أو معتدى عليه في نفسه أو في أهله أو ماله، فهو أهل للنصرة، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ﴾ (الأنفال: ٧٢).

ويشترك في أصل هذا الحكم البر والفاجر، فالفسق سواء كان بمعصية أو ببدعة في الدين ليس مانعا من النصرة كما يتوهم بعض الناس ، قال تعالى ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الحجرات: ٩) ومعلوم في الشريعة الإسلامية أن قتال المسلم فسوق، وفي الآية أمر بقتال الطائفة الباغية وهو صورة من صور النصرة وخاصة إذا كان المنصور هو الظالم.

٢– ويلحق بالمسلم في وجوب النصرة أهل الذمة والمعاهدين في دار الإسلام، قال ابن قدامة رحمه الله (وعلى الإمام حفظ أهل الذمة ومنع من يقصدهم بأذى من المسلمين والكفار واستنقاذ من أسر منهم بعد استنقاذ أسارى المسلمين واسترجاع ما أخذ منهم لأنهم بذلوا الجزية لحفظهم وحفظ أموالهم)[4].

٣– ومن أهل النصرة أيضا كل مستضعف في الأرض أيا كان دينه أو جنسه أو لغته لقوله صلى الله عليه وسلم (لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان ما أحب أن لي بها حمر

١/ أخرجه البخاري بالرقم: ٢٣١٢

٢/ أخرجه البخاري بالرقم ٢٣١٠– ومسلم بالرقم :٢٥٨٠

٣/ انظر : فتح الباري " شرح صحيح البخاري ،٥/٩٧

٤/ انظر : الكافي في فقه الإمام بن حنبل ، ٤/ ٣٦٤

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت)[1] ، والرسول صلى الله عليه وسلم يشير هنا إلى حلف الفضول الذي كان على أساسه نصرة المظلوم.

(و) أنواع النصرة.

للنصرة في الإسلام صور متعددة وأنواع مختلفة، وفي ما يلي بعض تلك الصور والأنواع:

١- النصرة الفكرية والعقائدية .

قد يكون للظلم الواقع على الإنسان بعض الجوانب الفكرية والنظرية التي تغطي فظاعة الجريمة وتبرر تصرفات الظالم، وفي مثل هذه الحالة يحتاج المظلوم إلى النصرة الفكرية في مقابل ما حل به من ظلم فكري.

وتكون النصرة الفكرية حينئذٍ أولا ببيان وجه الظلم الشرعي وذلك بالتأصيل الدقيق للحقوق المغتصبة، والرد القوي على الدعاوي والشبهات التي يتذرع بها الظالم ، ثم بيان الطرق الحكمية لرد الحقوق إلى أهلها، وما يجب في حق الظالم من عقوبة أو تعزير، فالنصرة الفكرية في مثل القضية الفلسطينية يجب أن تبدأ ببيان حق المسلمين الشرعي والتاريخي في فلسطين، والرد على الخرافات اليهودية والدعاوي الصهيونية المنسوجة حول القضية، ويلي ذلك تقديم خارطة طريق إسلامية عملية وواضحة لتحرير فلسطين ودحر الاحتلال وكذا الحال في شأن الأقليات المسلمة التي تعاني الإضطهاد والتمييز بسبب المعتقد كماهو حاصل للمسلمين في إفريقيا الوسطى وجنوب شرق آسيا وشرق أوربا وغيرها.

٢- النصرة الإغاثية والمادية .

وتكون بتوفير ما يحتاج إليه المعتدى عليه من طعام أو شراب أو دواء وغير ذلك من ضرورات الحياة. وهي أشهر أنواع النصرة وأكثرها ممارسة في الواقع العملي، ويرجع ذلك في نظري إلى سببين وهما، الأول كثرة الحروب والمعارك التي يحتاج الناس أثنائها وبعدها إلى إغاثة عاجلة، والسبب الثاني سهولة الممارسة وقلة التبعات والمخاطر، فالعمليات الإغاثية مسموحة بها في كل الشرائع والقوانين وفي أصعب الظروف وأحلكها.وقد كانت الصحابيات رضي الله عنهن يمارسن هذا النوع المهم من أنواع النصرة، فعن حفصة بنت عمرو مولاة أنس بن سيرين قالت: سمعت حفصة بنت سيرين تقول: سمعت أم عطية تقول: (كنا نخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نداوي الجرحى وندفن الموتى)[2].

١/ أخرجه البيهقي في السنن الكبرى بالرقم ١٢٨٥٩

٢/ أخرجه الطبراني في المعجم الكبير بالرقم ١٦٣

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

٣-النصرة الإعلامية.

ونعني بها الإعلام بالظلم الواقع على المظلوم والتشهير بجرائم الظالمين، بالصوت والصورة،أو بالقلم والريشة، أو بالنثر والقافية ، وبكل وسيلة إعلامية متوفرة.

وبغض النظر عن ترتيب الإعلام بين السلطات في الأهمية فإن للنصرة الإعلامية آثاراً ملموسة في إحقاق الحق وإزهاق الباطل لا يجحدها إلا جاهل أو مكابر، وقد كان للشعراء حضور بارز في غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان لقصائدهم وقع أشد على الأعداء من الرماح والسيوف، وكانت الملائكة تثبتهم وتؤيد هم كما تثبت وتؤيد حملة الرماح والسيوف، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان رضي الله عنه : (إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله)[1] ، وفي الحديث بشارة لكل مذيع أو صحفي أو شاعر أو أديب أو رسام أو منشد أو مخرج سينمائي وغيرهم من أهل الفن والإعلام بتأييد من روح القدس وأمين الوحي جبريل عليه السلام ما نافحوا عن الله ورسوله وذبوا عن المسلمين، فالعبرة هنا – كما يقول الأصوليون – بعموم اللفظ لا بخصوص السبب والشعوب المستضعفة الآن أحوج ماتكون إلى مثل هذا الدعم وتكثيفه وتطويره فالآلة الإعلامية اليوم من أخطر وأنجع الوسائل في تشكيل الرأي العام وتوجيهه .

٤- النصرة السياسية.

وهي التدابير الكفيلة بنصرة المظلوم والتي يقوم بها ولاة الأمور وأهل الحل والعقد من العلماء والمنظمات الحقوقية في المجتمع المسلم ، من إدانة الظلم وملاحقة الظالمين وسن القوانين الصارمة لرعاية الحقوق، ثم تسخير جميع أجهزة الدولة في تحقيق ذلك، وإذا تأملنا في أحكام النصرة الشرعية نجد بأن المسؤولية العظمى تقع على كواهل ولاة الأمور من ملوك ورؤساء وأمراء وأهل الحل والعقد من علماء ومفكرين وقضاة ومحامين ودبلوماسيين ، وبالأخص ما يتعلق منها بالعلاقات الدولية في السلم والحرب، وبالجوانب القضائية وبعض الجوانب الاقتصادية، قال تعالى ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (الحج: ٤١)، قال الصباح بن سوادة الكندي سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب وهو يقول (الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ) الآية ثم قال (ألا إنها ليست على الوالي وحده، ولكنها على الوالي

١/ أخرجه مسلم في صحيحه بالرقم ٢٤٩٠

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

والمولى عليه، ألا أنبئكم بما لكم على الوالي من ذلكم، وبما للوالي عليكم منه؟ إن لكم على الوالي من ذلكم أن يأخذكم بحقوق الله عليكم، وأن يأخذ لبعضكم من بعض، وأن يهديكم للتي هي أحسن ما استطاع، وإن عليكم من ذلك الطاعة غير المبزوزة ولا المستكره بها ولا المخالف سرها علانيتها)[1].

وما نراه من تباين أو تفاوت بين المواقف الرسمية والمواقف الشعبية من مشكلات الأمة الإسلامية يعد عاملا من عوامل الضعف والانهزام وسببا من أسباب الفشل، قال تعال ﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال: ٤٦) .وقد عانى الشعب السوري جراء غياب هذا الدور أوعدم فاعليته طوال الفترة الماضية، فآن الأوان أن يأخذ كل فصيل من تلك الفصائل هذا الأمر بقوة حتى ينعتق الشعب السوري من هذا الكابوس الذي جثم على صدره ودمر مقدراته .

٥- النصرة العسكرية.

وتكون بقتال الظالمين المعتدين على حقوق الناس والمنتهكين لأعراضهم، أو بإعانة المعتدى عليهم ومدهم بما يدفعون به الظلم، قال تعالى ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً﴾ (النساء: ٧٥). ويتأكد وجوب النصرة العسكرية وتنتقل من درجة الفرضية الكفائية التي هي الأصل في الجهاد إلي درجة الفرضية العينية إذا هاجم العدو بلداً مسلماً وعجز ذلك البلد عن رد العدوان لقلة عددهم وعتادهم، وهذه من الحالات التي يصبح فيها الجهاد واجبا عينيا ويسقط فيها كثير من شروط الوجوب المتعلقة بالجاهزية والسن والجنس، قال القرطبي رحمه الله تعالى (فإذا كان ذلك – غلبة العدو على قطر من الأقطار المسلمة وعجزوا عن دفعها – وجب على جميع أهل تلك الدار أن ينفروا ويخرجوا إليه خفافا وثقالا كل على قدر طاقته، من كان له أب بغير إذنه، ومن لا أب له، ولا يتخلف أحد يقدر على الخروج من مقاتل أو مكثر، فإن عجز أهل تلك البلدة عن القيام بعدوهم كان على من قاربهم وجاورهم أن يخرجوا على حسب ما لزم أهل تلك البلدة حتى يعلموا أن فيهم طاقة على القيام بهم ومدافعتهم، وكذلك كل من علم بضعفهم عن عدوهم وعلم أنه يدركهم ويمكنه غياثهم لزمه أيضا الخروج إليهم)[2].

١/ انظر : تفسير بن كثير ٣/٢٢٧

٢/ انظر : الجامع لأحكام القرآن . ٨/١٥١

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

وكل معاهدة إقليمية أو دولية تمنع المسلمين من نصرة إخوانهم المسلمين في جميع أقطار العالم فهي باطلة و غير ملزمة قال صلى الله عليه وسلم (كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل ولو كان مئة شرط) قال المناوي رحمه الله تعالى (أي كشرط نصر ظالم وباغ وشن غارة على المسلمين ونحوها من الشروط الباطلة...)[1].فمن أوجب الواجبات اليوم زيادة الدعم العسكري والقتالي لشعب سوريا المبطوش به .

٦- النصرة بالدعاء.

وهي من أهم أنواع النصرة وأنفعها للمنصور وأفتكها بالمنصور عليه، وهي مع ذلك ذات طبيعة إيمانية لا يمارسها إلا أهل الإيمان بالله عكس الأنواع الأخرى من النصرة، ويدل عليها قوله تعالى ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ (القمر: ٩-١٢)، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلجأ إلى هذه الوسيلة الناجعة لنصرة المظلومين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي يدعو في القنوت (اللهم أنج سلمة بن هشام اللهم أنج الوليد بن الوليد، اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة، اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطئتك على مضر، اللهم سنين كسني يوسف)[2] ، ومع ذلك فإن بعض الجهلة وضعاف الإيمان من المسلمين يهونون من شأن الدعاءوهذا يعتبر من الغفلة التي انتابت الأمة الإسلامية ، وما ينبغي التذكير به في هذا المقام أن الدعاء لنصرة المسلمين يشترط فيه شرطان أساسيان هما :

١- : أن يكون خاليا من الشرك والخرافة والشعوذة : بأن يكون موجها إلى الله وحده لا شريك له قال تعالى ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (القصص: ٨٨) وقال صلى الله عليه وسلم (وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله)[3] ، فمهما اشتدت وادلهمت الخطوب فلا يجوز التوجه إلى غير الله تعالى ولا يستغاث بنبي مرسل ولا بملك مقرب ولا بعبد صالح فكلهم لا يستطيع كشف الضر عن الناس ولا تحويله عنهم قال تعالى ﴿قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً﴾ (الإسراء: ٥٦).

١-: أن يكون سليما من الاعتداء: وهو تجاوز المشروع في الدعاء سواء كان في المضمون

١/ انظر: فتح القدير ،٦/٢٦٢

٢/ أخرجه البخاري بالرقم ٢٧٤٧

٣/ أخرجه الحاكم في المستدرك بالرقم ٦٣٠٣، والترمذي في السنن بالرقم ٢٥١٦

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

والمعنى أو في الشكل والمبنى، وقد ورد النهي في الاعتداء في الدعاء في القرآن والسنة، قال تعالى ﴿ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (الأعراف: ٥٥)، وعن عبد الله بن مغفل أنه سمع ابنه يقول: اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها، فقال: أي بني سل الله الجنة وعذ به من النار، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (سيكون قوم يعتدون في الدعاء)[1]، ومهما امتلأت القلوب غضبا وغيظا فلا يجوز الخروج عن حدود الشرع ونطاق الحكمة حينما ندعوا لإخواننا المظلومين أو حينما ندعوا على من ظلمنا من الكفار والمشركين، ولنا في أدعية القرآن والسنة أسوة حسنة فالنكثر من الدعاء لأهل سوريا في كل حين حتى يتحقق النصر المبين .

(ز) معالم النصرة وشروطها .

هناك معالم أساسية وشروط ضرورية يجب توفرها في النصرة الحقيقية، ومن هذه المعالم والشروط .

١- الإخلاص.

وهو أن يكون الباعث على النصرة قصد وجه الله تعالى، ومنع الظلم بأنواعه، وتحقيق العدل على جميع الناس، وإعانة الفقراء والمحتاجين على لوازم الحياة الكريمة، فلا ينتصر لعرق أو حزب أو طائفة، أو ينصر أحدا لطلب مال أو شرف أو جاه، فكل ذلك من خصال الجاهلية وطباع البهيمية السافلة، قال تعالى في قصة ذي القرنين ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً﴾ (الكهف: ٩٤، ٩٥)، عن أبي موسى رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ما القتال في سبيل الله؟ فإن أحدنا يقاتل غضبا، ويقاتل حمية؟ فرفع إليه رأسه إلا أنه كان قائما فقال: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله عز وجل)[2].

ولا بأس بسؤال ما يتقوى به على نصرة المظلوم من مال وغيره لقوله تعالى ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً﴾ (الكهف: ٩٦)، ويجوز كذلك أخذ الأجرة على أعمال النصرة لمن كان متفرغا لها لقوله تعالى ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٦٠).

١/ أخرجه بن ماجة في السنن بالرقم ٣٨٦٤

٢/ أخرجه البخاري بالرقم ١٢٣، ومسلم بالرقم ١٩٠٤

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

٢- الواقعية.

ونقصد بها فعل الممكن من النصرة أيا كان نوعها، والأخذ بالمتوفر والمتاح من أنواعها ووسائلها، مع التطلع للمزيد مما يرجى حصوله من جميع ذلك، وهي درجة متوسطة بين العجز والكسل، فالناس أمام المصائب والمشاكل التي تحل بهم أو بغيرهم على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من يفعل الممكن: وهم أهل الإيمان والطاعة وهم محمودون في الشرع والعقل، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾الشورى٣٩/٣٨ ف ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦) وفي الحديث قوله صلى الله عليه وسلم (اكلفوا من الأعمال ما تطيقون)[١] ، ومن فعل من التكاليف ما استطاع إيمانا واحتسابا نال الأجر من الله وبرأت ذمته، قال تعالى ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَاللّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاً﴾ (النساء: ٨٤)، ولا يخلوا جهدهم مهما قل من نتيجة قريبة أو بعيدة إن شاء الله قال تعالى ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٧)، وهذه الآية نزلت في الذين كانوا يردون السائل ويتركون الصدقة لقلة ما بأيديهم[٢].

القسم الثاني: من يترك الممكن، وهم أهل النفاق وهؤلاء مذمومون في الشرع والعقل، قال ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوِ ادْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٧).

القسم الثالث: من يطلب غير الممكن أو المستحيل أو المتعسر حصوله : وهم أهل العجلة والحماس الزائد، ممن يحقر ما بذله أهل الإيمان والطاعة من جهود لرفع المصائب أو دفعها، وليس بأحسن حالا من أهل الكسل لما يتركه من الممكن وما يفوته من المستحيل.والمسلم الواعي هو من لا يألو جهده في نصرة المظلوم وإغاثة الملهوف ونجدة المكلوم، ولا يتيه بين الأماني والأحلام، ولا يتثاقل إلى الأرض ولا يخلد إليها، فراحته في رضى الله تعالى وفي ما يسعد البشر، فكل أنواع النصرة نافعة ومطلوبة، ولجميع الناس في النصرة سهم ونصيب.وقد أرشد القرآن الكريم المسلمين إلى أهم صور الجهاد وأفضل

١/ أخرجه البخاري في صحيحه بالرقم ٦١٠٠

٢/ انظر : تفسير بن كثير ٥٤٢/٤

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

أنواع النصرة، قال الله تعالى ﴿انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (التوبة: ٤١) قال السعدي رحمه الله (يقول الله تعالى لعباده المؤمنين مهيجا لهم على النفير في سبيل الله ﴿انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً﴾ في العسر واليسر، والمنشط والمكره، والحر والبرد، في جميع الأحوال ﴿وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾أي ابذلوا في ذلك واستفرغوا وسعكم في المال والنفس...)[1] ، فالجهاد في سبيل الله ونصرة المظلومين بمعناهما الشامل مما يجب أن يساهم فيهما كل مسلم ملتزم وكل إنسان محترم صغيرا كان أم كبيراً، رئيسا أم مرؤوسا، ذكرا كان أم أنثى ، ولقد رأينا هذه الشمولية في النصرة في الحروب والغارات الظالمة على أهلنا في غزة من اليهود الصهاينة الغاصبين ، حيث تداعت الدول الإسلامية والعربية ولم يتخلف من النصرة إلا المخذلون ، تماماً كما قص علينا القرآن شأنهم في زمن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم حيث يقول عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ اللّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(آل عمران: ١٥٦). وقال: ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾التوبة٤٧

(ح) الوسائل المثلى لدعم الشعوب المسلمة.

١- الدعاء المستمر والقنوت.

٢- الدعم المالي الوقفي لمشاريع محددة يعود ريعها للمسلمين المستضعفين .

ولقد علّمنا نبينا – صلى الله عليه وسلم – كيف نتعامل مع المنكوبين في الظروف الآنية وعلى المدى الطويل ، ففي صحيح مسلم عن جرير بن عبد الله قال: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – فِي صَدْرِ النَّهَارِ، قَالَ: فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ، عُرَاةٌ، مُجْتَابِي النِّمَارِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ، بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ. فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم –، – أي تغير – لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ وَأَقَامَ فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ:«﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾، وَالْآيَةَ الَّتِي فِي الْحَشْرِ:﴿ يَا أَيُّهَا الذين آمَنُوا

١/ انظر : تفسير السعدي صفحة :٣٣٨

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

اتَّقُوا اللَّه وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّه ﴾، تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِه، مِنْ دِرْهَمِه، مِنْ ثَوْبِه، مِنْ صَاعِ بُرِّه، مِنْ صَاعِ تَمْرِه، وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَة ». قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ، ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّه - صلى الله عليه وسلم - يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه - صلى الله عليه وسلم -:«مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِه مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ».[1]

٣- الدعم الإعلامي الموجه والمستمر وذلك بفضح كيد الأعداء ومخططاتهم .

٤ -الدعم بالوسائل القانونية وتبني قضاياهم الجنائية والمرافعة عنهم.

٥- المقاطعة الاقتصادية والتجارية لأعداء الإسلام المحاربين (استخدام سلاح النفط والغاز) وهذا نوع من الجهاد بالمال يقول - صلى الله عليه وسلم -:(جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَأَنْفُسِكُمْ، وَأَلْسِنَتِكُمْ)[2]

٦- التواصل المستمر مع المسلمين المستضعفين وإشعارهم بمكانتهم في قلوب المسلمين في كل الأوقات وليس في الأزمات فحسب .كما قال شاعرنا .

يا أخي في الهند أو في (بانقي×) أوالمغرب — أنا منك أنت مني أنت بي[3]

لا تسل عن عنصري عن نسبي — إنه الإسلام أمي وأبي

إخوة نحن بهم مؤتلفون — مسلمون ..مسلمون ..مسلمون

١/ البخاري بالرقم : ٦١٠٠، ومسلم بالرقم :٧٨٣

٢/ أخرجه الإمام أحمد في المسند ، ٤/ ١٢٤ ، وأبو داوود (٢٥٠٦) والنسائي(٣٠٩٦)

٣/ الأبيات للعلامة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي ،، وعبارة (بانقي×) إضافة من الباحث.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

الخاتمة والنتائج والتوصيات :

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي المؤيد بأعظم المعجزات.

أما بعد

ففي ختام هذه الورقة التي تناولت موضوع النصرة كضرورة شرعية وواجب إنساني ألخص النتائج التالية

- إن الهزيمة النفسية واستشراء داء الوهن الذي أصاب الأمة هو أهم عامل استغله العدو لإذلال الأمة والنيل منها .
- إن التشبث بالعصبيات الضيقة ، إثنية كانت، أوطائفية ، أو جهوية قد عمقت التمزق ووسعت الهوة بين المسلمين وجعلت الأقليات المسلمة لانصير لها .
- الاعتزاز بالعقيدة والدين والتمسك بنهج سلف الأمة هو المخرج من حالة الضعف والهوان الذي لازم الأمة عقوداً طويلة ، حيث لن يصلح حال هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، مع الأخذ في الاعتبار التزود بكل معطيات العصر ووسائله .

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

التوصيات

أوصي بتكوين هيئة عالمية لنصرة الشعوب المسلمة المستضعفة .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. تفسير ابن كثير .
٢. تفسير السعدي .
٣. الجامع لأحكام القرآن .
٤. سنن ابن ماجة .
٥. سنن البيهقي .
٦. صحيح الإمام البخاري
٧. صحيح الإمام مسلم
٨. فتح القدير للشوكاني .
٩. الكافي في فقه ابن حنبل .
١٠. مستدرك الحاكم .
١١. المعجم الكبير للطبراني .
١٢. الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) على الشبكة العنكبوتية.
١٣. (الله – الرسول – الإسلام)– للشيخ سعيد حوى

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com